

الغزو الاسباني على السواحل الجزائرية
(911_917هـ/1505_1511م).

**The Spanish invasion of the Algerian coast
911-917/1505-1511.**

د.ة / خديجة دويالي
جامعة ابن خلدون ، تيارت .

الملخص:

بعد سقوط غرناطة آخر معقل للمسلمين بالأندلس سنة 1492م، شهدت السواحل المغاربية عموما والجزائرية على وجه الخصوص توافد مسلمي اسبانيا الفارين بدينهم وأرواحهم وأعراضهم من بشط وتكنيل السلطات الاسبانية، ليبدأ عهد جديد من المواجهات بين القوى الإسلامية والنصرانية.

فقد وجهت اسبانيا النصرانية نيران مدافعها نحو بلدان المغرب العربي عموما، والجزائر على وجه الخصوص، حيث كانت هذه الأخيرة محل أطماع اسبانيا التي اتخذت من استقبال هؤلاء الوافدين حجة لمهاجمة السواحل الجزائرية بداية من سنة 1505م تاريخ احتلال المرسى الكبير، مروراً باحتلال وهران سنة 1509م، فبجاية عام 1510م، ثم تتالي سقوط المدن الواحدة تلوى الأخرى سواء طواعية أو كرها.

فقد ركزت سلطات الاحتلال الاسباني أطماعها على المدن الساحلية رغبة منها في تحقيق الأهداف التالية:

- _ حماية ظهر اسبانيا من أي خطر قد يأتي من هذه المناطق نظرا لقربها منها.
- _ استغلال الثروات التي كانت تسخر بها هذه المدن حتى تكون دعما للاقتصاد الاسباني الذي عرف تدهورا كبيرا بعد هجرة الأندلسيين الذين مثلوا الركيزة الأساسية لدوران عجلة التنمية الاقتصادية في كافة المجالات.
- _ السيطرة على التجارة البحرية، نظرا للموقع الاستراتيجي التي كانت تتمتع به هذه المدن.
- وبالفعل فقد استعملت السلطات الاسبانية كل الوسائل قصد تحقيق مشروعها، فكان لها أن خضعت لها معظم كل المدن الساحلية نظرا لافتقار الجزائر في تلك الحقبة التاريخية لمؤسسات سياسية وقوة دفاعية تمكنها من رد الخطر الاسباني عنها.

الكلمات المفتاحية: حوض المتوسط؛ السواحل الجزائرية، الصراع الاسباني العثماني، التحرشات

Abstract :

After the fall of Granada, the last stronghold of Muslims in Andalusia in 1492 AD, the Maghreb coasts in general and Algeria in particular witnessed the influx of Muslims from Spain fleeing their religion, their lives and their honor from the abuse and abuse of the Spanish authorities, to start a new era of confrontations between Islamic and Christian forces.

Christian Spain directed the fire of its cannons towards the countries of the Maghreb in general, and Algeria in particular, as the latter was the object of Spain's ambitions, which took the reception of these arrivals as an excuse to attack the Algerian coasts.

Keywords : Iberian invasion; Algerian coasts; Andalusian; religion.

مقدمة:

شهدت السواحل المغربية مع بداية القرن العاشر الهجري الموافق للقرن السادس عشر ميلادي توافد مسلمي اسبانيا الفارين بدينهم وأرواحهم وأعراضهم من بشط وتنكيل السلطات الاسبانية وذلك بعد سقوط غرناطة آخر معقل للمسلمين بالأندلس سنة 1492م؛ ليبدأ عهد جديد من المواجهات بين القوى الإسلامية والنصرانية.

فقد وجهت اسبانيا النصرانية نيران مدافعها نحو بلدان المغرب عموما، والجزائر على وجه الخصوص، حيث كانت هذه الأخيرة محل أطماع اسبانيا التي اتخذت من استقبال هؤلاء الوافدين حجة لمهاجمة السواحل الجزائرية بداية من سنة 1505م تاريخ احتلال المرسى الكبير، مروراً باحتلال وهران سنة 1509م، فبجاية عام 1510م، ثم تتالي سقوط المدن الواحدة تلو الأخرى سواء طواعية أو كرها.

1_ المدن التي سيطر عليها الاسبان بالقوة العسكرية:

استعملت اسبانيا بغية تجسيد مشروعها الصليبي على أرض الجزائر كل الوسائل والسبل، سواء بقوة السلاح، أو التهديد والوعيد، وحتى بشراء الذمم لتسهيل عملية الوصول إلى مبتهاها. ومن بين المدن التي تعرضت لقوة السلاح نذكر مرسى الكبير ووهران ثم بجاية.

أ_ سقوط المرسى الكبير (1505م):

يجدر بنا الإشارة إلى أن البرتغال كانت السباقة لاحتلال المرسى الكبير، فقد جهزت حملة عسكرية سنة 1501م مؤلفة من ثلاثين سفينة تحمل ثلاثة آلاف جندي⁽¹⁾؛ أقلعت في 15 جوان غير أن سوء الأحوال الجوية أجبرت القوات على الرسو داخل الخليج لمدة ثلاثة أيام⁽²⁾، مما مكن السكان من اكتشاف أمرها، فأعلنوا حالة الاستنفار واستنجدوا باخوانهم من المناطق المجاورة لصعد العدوان البرتغالي على المنطقة، فتمكنوا من هزم القوات البرتغالية وانقاذ المدينة من ذل ومهانة الاحتلال⁽³⁾.

بقيت المنطقة في مأمن من العدو الخارجي طيلة ثلاث سنوات، لكن في سنة 1505م قررت السلطات الاسبانية شن حملة عسكرية لاحتلالها؛ فجهزت لذلك أسطولاً يقوده دون رايموندي "Don Roymondi" مكوناً من ستة سفن من نوع حراقة وعدة مراكب من نوع مرافيل تحمل على متنها خمسة آلاف جندي ودخيرة حربية ومؤونة⁽⁴⁾.

غادر الأسطول الاسباني ميناء مالقة "Malaga"⁽⁵⁾ في 22 أوت من سنة 1505م⁽⁶⁾، ولم يصل إلى المرسى الكبير إلا في يوم 11 سبتمبر من السنة نفسها، بسبب توقفه في المياه الإقليمية للبحر الأبيض المتوسط نتيجة الظروف المناخية التي لم تسمح بتقدم الأسطول، كان هذا التأخر لصالح الاسبان ذلك أن كل المتطوعين المجاهدين الذين قدموا من المناطق المجاورة لمؤازرة اخوانهم بالمرسى الكبير انسحبوا بعد طول الانتظار⁽⁷⁾.

رغم قلة عدد المجاهدين المرابطين بشاطئ المرسى الكبير الذي بلغ عددهم حوالي خمسمائة مجاهد إلا أنهم قاوموا مقاومة عنيفة لمنع القوات الاسبانية من النزول إلى البر، لكن نظراً لعدم تكافؤ القوتين⁽⁸⁾ تمكن الاسبان من النزول ومحاصرة المدينة ثم احتلالها.

بعد سقوط المرسى الكبير عمل الاسبان على تغيير معالمه الإسلامية، فحولوا المسجد إلى كاتدرائية أطلقوا عليها "كاتدرائية القديس ميكائيل" وأقاموا بها قداس⁽⁹⁾ صبيحة الأربعاء 15 جويلية من السنة نفسها، كما رمموا أسوار المدينة التي تسببت القذائف في تحطيم جزء كبير منها⁽¹⁰⁾، وأدخلوا تحصينات جديدة على الحصن، ونصبوا المدافع على أسواره ترقباً لأي ردة فعل عدوانية من سكان المنطقة⁽¹¹⁾ هذا على الصعيد العسكري؛ أما على المستوى الاقتصادي فقد أنشأوا سوقاً تجارياً لتأمين متطلبات الحامية الاسبانية⁽¹²⁾.

لما وصلت أخبار الانتصارات إلى العرش الملكي باسبانيا أقيمت الأفراح والاحتفالات مدة ثمانية أيام كاملة، كما أقيمت الصلوات⁽¹³⁾ في الكنائس شكراً للرب على هذا الانتصار على حد زعمهم.

لقد اعتبرت اسبانيا سقوط المرسى الكبير حافزا لمواصلة مشروع الغزو بداية بمدينة وهران التي سوف تكون المحطة التالية لشن حملة عسكرية عليها قصد احتلالها، ولكن ما بين سنة 1505 و 1509م كانت هناك محاولات للإسبان قصد الوصول إلى تلمسان عاصمة الزيانيين، لكن وقفت لهم بالمرصاد القبائل التي كانت المستقرة بمسرغين⁽¹⁴⁾، فقد درات بين الطرفين مناوشات عسكرية قسمها المؤرخون إلى مرحلتين.

أما المرحلة الأولى فكانت بتاريخ 6 جوان من سنة 1507م، تمكن خلالها الجيش الأسباني بقيادة دون دي باقوا من التسلل ليلا إلى المنطقة، قاوم السكان ببسالة لكن نظرا لعامل المباغثة وعدم تكافؤ القوتين رجحت الغلبة للقوات الأسبانية، هؤلاء أسروا الكثير من سكان المدينة⁽¹⁵⁾ وسبوا النساء وغنموا جميع ما فيها من ثروة، ثم انسحبوا نحو المرسى الكبير.

في حين اعتبرت المرحلة الثانية ردة فعل للسكان من الحملة السالفة الذكر، فقد توجه متطوعون من مدينة وهران وقطعوا الطريق على الأسبان، فتمكنوا خلالها من قتل ثلاثة آلاف جندي بينما فر الباقون نحو المرسى الكبير للاعتصام بأسواره المنيع، وتبليغ القائد الأسباني بالواقعة، إذ بمجرد علمه بذلك أرسل دعما عسكريا للحامية الأسبانية ضم خمسة آلاف جندي ترقبا لأي طارئ⁽¹⁶⁾.

_ احتلال مدينة وهران (1509م):

بعد سقوط المرسى الكبير في أيدي الأسبان سنة 1505م واتخاذها قاعدة عسكرية لتحركاتهم المستقبلية قررت السلطات الأسبانية أن المحطة القادمة في مشروع الغزو ستكون مدينة وهران نظرا لقرتها من المرسى الكبير أولا وللاجماع مجموعة من العوامل ساهمت بشكل مباشر في تسيير الحملة عليها، لعل من بين أهمها نذكر:

_ الحملات التجسسية التي حركتها السلطات الأسبانية لجمع تقارير اتصلت اتصالا مباشرا بالظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية بسكان المدينة؛ ومن بين تلك الحملات نذكر تلك التي قام بها فيانلي⁽¹⁷⁾ الذي قدم تقريرا مفصلا على المدينة ورد فيه أن لهذه الأخيرة موقعا استراتيجيا مهما جعلها من أشهر مدن بلاد المغرب وأغناها لتوفر الأسواق التجارية بها⁽¹⁸⁾.

_ ضعف السلطة السياسية للمملكة الزيانية وعدم قدرتها على رد أي عدوان قد يستهدف أحد المناطق التابعة لها.

_ شراء ذمة اليهودي⁽¹⁹⁾ سطورة⁽²⁰⁾ الذي استقر مع مجموعة من اليهود الذين هاجروا من الأندلس⁽²¹⁾ الفارين من بطش وتنكيل السلطات الأسبانية⁽²²⁾، وكذا مساعديه عيسى العربي وابن قانص⁽²³⁾.

أمام هذه المعطيات أصدر الملك الأسباني فرناندو مرسوما ملكيا في شهر ديسمبر من سنة 1508م يعلن من خلاله تجهيز حملة عسكرية على مدينة وهران قصد احتلالها⁽²⁴⁾؛ على هذا الأساس جهز الكاردينال خمينيس حملة ضخمة تكونت من خمسة عشر ألف جندي⁽²⁵⁾ تحملهم ثلاث وثلاثون باخرة حربية وواحد وخمسون زورقا⁽²⁶⁾، يقودها بيدرو نافارو⁽²⁷⁾.

أقلع الأسطول من ميناء قرطاجنة يوم 16 ماي من سنة 1509م، ووصل إلى المرسى الكبير يوم 19 ماي من السنة نفسها، توقف هناك ليتم وضع الترتيبات النهائية للحملة وأخذ التموينات اللازمة. بالمقابل علم سكان المدينة بأمر الحملة فأعدوا لها العدة، ولكن مباغثة العدو لهم بعد فتح الخونة _ سطورا وعيسى وابن ناقص _ للبوابة الرئيسة⁽²⁸⁾ أثر بشكل مباشر في مجرى الأحداث، ومع هذا قاوم السكان مقاومة شرسة دامت خمسة أيام كاملة انتهت بسقوط المدينة بعد استشهاد معظم رجالها⁽²⁹⁾.

ومن أهم النتائج المترتبة على سقوط مدينة وهران نذكر:

_ استشهاد أكثر من أربعة آلاف مجاهد وأسر قرابة ثمانية ألف، كما سبيت النساء وانتزع الأطفال من عائلتهم.

- _ قدرت الغنائم التي سلبها الأسبان بحوالي خمسة آلاف أوقية⁽³⁰⁾ ذهبية.
- _ انشاء أول محكمة تحقيق⁽³¹⁾ على مستوى الجزائر بوجه خاص والمغرب عموما على يد الكردينال خمينيس.
- _ تحويل المساجد إلى كنائس⁽³²⁾.
- _ الاستحواذ على المخطوطات والتحف الثمينة ونقلها إلى طليطلة⁽³³⁾ "Toledo".
- _ تعيين بدرو نافارو حاكما عاما على المدينة.
- _ اعلان بعض القبائل طاعتها للسلطات الأسبانية ممثلة في قائدها بدرو نافارو وعلى رأسها قبيلة بني عامر.
- _ الاستيلاء على بجاية (1510م):
- احتلت مدينة بجاية مكانة مرموقة ليس على مستوى المغرب الأوسط فقط، وإنما في المغرب الإسلامي عموما، فقد اعتبرت من بين أهم مراكز الإشعاع العلمي والحضاري، وذلك بفضل مدارسها المتخصصة في علوم الطب والفلسفة وعلم الكلام؛ كما احتلت موقعا استراتيجيا أكسبها رقيا اقتصاديا.
- وظلت المدينة كذلك طيلة الحقبة الوسيطة ولكن مع سقوط الحماديين الذين اتخذوا منها عاصمة لحكمهم تعرضت التحرشات العسكرية من الحفصيين، هؤلاء تمكنوا من السيطرة عليها والحاقها اداريا بالمملكة الحفصية في تونس⁽³⁴⁾، مستفيذين من الضعف السياسي والعسكري الذي آلت إليه المملكة الزيانية.
- بظهور هذه المستجدات دخلت بجاية عهدا جديدا من تاريخها، عهد كله فتن وصراعات⁽³⁵⁾ انتهى بزج حاكم بجاية عبد الله في السجن بعد أن أفقده عبد الرحمن الحفصي بصره؛ أمام هذا التمزق السياسي قررت السلطات الأسبانية شن حملة عسكرية لاحتلال المدينة، خاصة وأنه وصلها تقارير أكدت على ثراء سكانها والبالغ عددهم حوالي ثمانية آلاف أسرة⁽³⁶⁾.
- غادر الأسطول الأسباني المرسى الكبير في 30 نوفمبر من سنة 1510م متجها نحو جزر البليار، قدرت الروايات التاريخية تعداده بعشرين وحدة عسكرية تحمل عشرة آلاف جندي مدعمن بمدفعية وذخيرة حربية يقودهم بيدرو نافارو؛ وبمجرد وصوله إلى جزر البليار التحق بهم الدعم البشري والمادي القادم من اسبانيا⁽³⁷⁾.
- أقلع الأسطول من الجزر البليار في أول جانفي من السنة نفسها، ووصل إلى بجاية اليوم الخامس من الشهر نفسه، عندها أسرع القائمون على شؤون المدينة بتجنيد المتطوعين والقادرين على حمل السلاح⁽³⁸⁾، أما البقية من النساء والشيخ والأطفال فقد تم نقلهم إلى أماكن آمنة.
- حاولت القوات البجاوية منع نزول القوات الأسبانية إلى البر، إلا أن الخطة التي اتبعها القائد الأسباني بدرو نافارو مكنته من الانزال ومجابهة القوات المجاهدة المتكونة من أربعة آلاف مجاهد؛ فقد قسم قواته إلى فريقين؛ كلف الفريق الأول باحتلال المرتفعات المحيطة بالمدينة، في حين أسند مهمة اقتحام المدينة إلى الفريق الثاني⁽³⁹⁾؛ درات بين الطرفين معارك انتهت بسقوط المدينة في أيدي الأسبان بعد استشهاد قرابة خمسمائة وخمسين شهيدا كان من بينهم رجال دين وعلم⁽⁴⁰⁾.
- ومن بين النتائج المترتبة على سقوط مدينة بجاية سياسيا واجتماعيا واقتصاديا ودينيا نذكر:
- _ أراد الأسبان من خلال ارتكابهم للمجزرة الشنيعة في حق سكان المدينة ارسال رسالة إلى بقية المدن الساحلية بضرورة الاستسلام حتى لا يتعرضون للمصير نفسه.
- _ ترتب عن سقوط بجاية اعلان حاكم تونس خضوعه للأسبان.
- _ أعلن الملك الزياني ولاءه وطاعته للأسبان، وتعهد بدفع ضريبة سنوية للعرش الأسباني كرمز لهذا الولاء.
- _ فرغت المدينة من سكانها الأصليين بعدما غادروها، ولم يبق فيها إلا بعض العملاء للأسبان يتزعمهم أبو عبد الله الملك المخلوع سابقا⁽⁴¹⁾.

_ تم تعيين حاكم اسباني على بجاية يساعده أبو عبد الله، كما استحدثت السلطات الاسبانية منصبا جديدا أطلقت عليه "الفيدور" "Al vidor"⁽⁴²⁾.

_ أعلن الملك الاسباني حمايته للتجارة الاسبانية مع بجاية وفرض ضريبة على الأقمشة الصوفية المستوردة من بجاية.

_ أصدر العرش الاسباني مرسوما ملكيا يقضي بمنع تقديم أي دعم مادي أو نقدي للحماية الموجودة في بجاية، بالمقابل عليها أن تكتفي بمواردها الاقتصادية سواء لدفع أجور الجنود والموظفين، أو للقيام بالأعمال الدفاعية.

_ دمرت كل المعالم الحضارية والثقافية التي كانت تزخر بها بجاية والتي كانت رمزا لمجدها.

_ تم الاستيلاء على كل الثروات التي كان يمتلكها سكان المدينة.

_ حولت كل المساجد إلى كنائس.

_ المناطق التي أخضعها الاسبان بموجب الاتفاقيات:

لقد أحدثت الحملات العسكرية التي شنها الاسبان على كل من المرسى الكبير ووهران ثم بجاية هلعاً وخوفاً كبيرين في نفوس سكان المدن الساحلية المتبقية، لهذا رأت أنه لا مفر لها سوى الاستسلام واعلان خضوعها قبل أن تتعرض للمصير نفسه الذي آلت إليه المدن المحتلة، خاصة وأنهم لا يملكون القوة السياسية والعسكرية لصد هذا العدوان عليهم.

_ خضوع مدينة تنس (1510م): كانت مدينة تنس⁽⁴³⁾ أولى المدن التي سارعت إلى اعلان خضوعها للاسبان، ذلك أن حاكمها يعي الزياني كان قد أعلن ولاءه وطاعته للاسبان قبل التاريخ المذكور أعلاه بسنتين، والسبب في ذلك يرجع إلى مساندة الاسبان ليعي الزياني في توليته حاكما عاما على تنس⁽⁴⁴⁾. وبذلك كانت مدينة تنس أولى المدن التي وقعت تحت سيطرة الاسبان بسبب تخاذل السلطة الزيانية في الدفاع على السيادة الاقليمية للبلاد منشغلة في حروبها وفتنها الداخلية.

نتج عن استسلام مدينة تنس مجموعة من التبعات لعل من أهمها:

_ الاسراع باستسلام مدينة الجزائر التي ليست بعيدة عن تنس.

_ اتخاذ من المدينة قاعدة لتحركات الجيش الاسباني بغية اخضاع مدينة الجزائر في حالة عدم استسلام هذه الأخيرة.

_ ضمان مورد اقتصادي جديد قد يضمن لاسبانيا تموين حملتها ضد السواحل الجزائرية.

_ اشعال نار الفتنة والتفرقة بين أفراد الأسرة الزيانية الحاكمة من جهة، وبين أفراد المجتمع الجزائري من جهة أخرى، وانعدام الثقة بين مختلف الأطراف.

_ استسلام مدينة الجزائر (1510م): بعدما تعرضت كل من مدينة وهران وبجاية للاحتلال الاسباني، وتفاديا لما اتركب في حق أهلها من تنكيل واسترقاق وانتهاك لحرمة الدين والعرض، اجتمع أعيان ووجهاء مدينة الجزائر بزعامة سالم التومي⁽⁴⁵⁾ لتدارس الوضع الجديد.

وبعد مد وجزر اتفق المجلس بإعلان خضوع المدينة للاسبان حقنا للدماء وحفظا للأعراض من الانتهاك؛ على إثر ذلك اتجه وفد يضم أهم الشخصيات المحلية يتزعمه سالم التومي إلى القائد الاسباني بيدرو نافارو في بداية شهر جانفي من سنة 1510م بغية التباحث حول حل يرضي الطرفين.

توصل الطرفين _ الوفد الجزائري والاسباني _ إلى عقد اتفاقية حددت مدتها الزمنية بعشر سنوات⁽⁴⁶⁾، أهم ما ورد

فيها:

_ بقاء السكان في المدينة دون تعرضهم لأي أدى، كما يضمن لهم حكمهم الذاتي عليها.

_ على المجلس الممثل والناطق باسم سكان مدينة الجزائر دفع ضريبة للعرش الاسباني.

- _ الخضوع والولاء التامان للسلطات الأسبانية، وعدم عقد أي نوع من التحالف مع أي طرف قد يشكل خطرا على ما سعي في تلك الفترة بـ "الأمن القومي لاسبانيا".
- _ إطلاق سراح الأسرى النصارى دون قيد أو شرط.
- _ تسليم صخرة الجزائر أو ما عرف في تلك الفترة بـ "اصطفلة"⁽⁴⁷⁾ إلى القائد الأسباني⁽⁴⁸⁾ ليتخذ منها قاعدة عسكرية⁽⁴⁹⁾ ترأب عن قرب تحركات الملاحة الجزائرية وحتى الأجنبية.
- نجم عن تسليم صخرة الجزائر للسلطات الأسبانية مجموعة من النتائج لعل من أهمها نذكر:
- _ تعتبر صخرة الجزائر المنطقة الوحيدة التي سلمت لاسبان بعد عقد اتفاقية بين الملك الأسباني فرناندو⁽⁵⁰⁾ والوفد الجزائري في اسبانيا، وهذا الأمر يؤكد على مدى أهمية هذه المنطقة بالنسبة لاسبان، كما يعطي الصبغة القانونية والتاريخية للاتفاقية وحتى وإن صاحب هذا الاتفاق مجموعة من المعطيات قد تنفي حتمية تسليم المنطقة بطيب خاطر.
- _ اتخاذ من الصخرة قاعدة عسكرية ترأب تحركات الملاحة البحرية على مستوى الوسط الجزائري خاصة وأن الساحل يحتل موقعا استراتيجيا مهما.
- _ منع أي تدخل أجنبي على مستوى المنطقة خاصة من طرف العثمانيين الذي أصبح خطرهم يزداد يوما بعد يوم.
- _ مراقبة سكان مدينة الجزائر عن قرب وتهديدهم المستمر لهم بغية ابقائهم تحت سلطتهم ونفوذهم.
- استسلام مدينة شرشال (1511م): بعدما هجر سكان شرشال⁽⁵¹⁾ بسبب الحروب المستمرة بين ملوك بني زيان وملوك تونس، بقيت المدينة خالية من سكانها قرابة مائة سنة إلى أن سقطت غرناطة فقصدها الغرناطيون وأعادوا بناء دورها، كما أدخلوا الكثير من التعديلات على القلعة، ووزعوا الأراضي فيما بينهم فاشتغلوا بصناعة الحرير وذلك بفضل توفر أشجار التوت الأبيض والأسود⁽⁵²⁾.
- والمدينة مثلها مثل باقي المدن الساحلية تعرضت لضغوط كثيرة من طرف الأسبان، وتفاديا لوقوعها في نفس الأحداث المأساوية التي وقعت فيها كل من المرسى الكبير ووهران وبجاية فقد سارع شيخها إلى عقد معاهدة استسلام مع الأسبان في شهر ماي من سنة 1511م نصت على الاعتراف بالسلطة الأسبانية على المدينة، ودفع ضريبة سنوية للعرش الأسباني⁽⁵³⁾.
- اخضاع مدينة مستغانم⁽⁵⁴⁾ (1511م): اقتضى المشروع الأسباني المتمركز في أهم النقاط الاستراتيجية للساحل الجزائري وفق خطة عسكرية وسياسية رمت إلى تحقيق الكثير من الأهداف، وتماشيا مع الخطة المرسومة عمدت السلطات الأسبانية إلى التوسع في الغرب والشرق الجزائري خاصة بعد سقوط مدينة وهران سنة 1509م، فكانت مدينة مستغانم من بين أهم المراكز التي لفتت أنظار الأسبان.
- إن الموقع الاستراتيجي التي تمتعت به المدينة⁽⁵⁵⁾، وقرتها من مدينة وهران شجع السلطات الأسبانية على اخضاع المدينة سواء تم ذلك بقوة السلاح أو بالتفاوض مع شيوخها والامضاء على معاهدة الاستسلام مثل ما تم مع الكثير من المدن الساحلية، وتفاديا للدخول في معركة غير متكافئة وبالتالي حقنا للدماء وحفاظا على الأعراض والأموال خاصة وأن السلطة الزبانية فقدت قوتها السياسية والعسكرية استسلمت المدينة لسلطة الأسبان.
- على هذا الأساس أمضى شيوخ مدينة مستغانم على معاهدة استسلام في 26 ماي من سنة 1511م التزم بموجبها سكان المدينة على⁽⁵⁶⁾:
- _ خضوعهم التام للسلطات الأسبانية، وتفادي الدخول في أي حلف قد يشكل خطرا على الوجود الأسباني في المنطقة.
- _ اعلام السلطات الأسبانية المتواجدة في مدينة وهران بأي تحركات مشبوهة.
- _ دفع المقدار نفسه من الضرائب التي كان يدفعها السكان إلى السلطات الزبانية.
- _ إطلاق سراح الأسرى الأسبان المتواجدين في المدينة دون قيد أو شرط.

_ تزويد الحامية الأسبانية المتواجدة على مستوى مدينة وهران بكل ما تحتاجه من مواد غذائية بسعرها الحقيقي. بموجب هذه الاتفاقية دخلت مدينة مستغانم في قائمة المدن التي سقطت في يد الأسبان طوعية ودون استعمال القوة العسكرية، ذلك أن المنطق السياسي والعسكري كان يقول بأن مثل هذه المواجهة قد تكلف الكثير لسكان المدينة، وفي نهاية المطاف كانت النتيجة نفسها هو الدخول في طاعة الأسبان.

من خلال ما ذكر أعلاه يمكننا الخروج بمجموعة من الاستنتاجات لعل من أهمها:

_ باستسلام مدينة مستغانم تفادت السلطات الأسبانية الدخول في حرب قد تكلفها بعض الخسائر البشرية والمادية. _ تمكنت السلطات الأسبانية من تحقيق تقدما كبيرا في مشروع غزوها للسواحل الجزائرية، ذلك أن الساحل المستغانمي يتمتع بموقع استراتيجي مهم على المستويين العسكري والاقتصادي. _ بدخول مدينة مستغانم في طاعة الأسبان تمكن هؤلاء من إيجاد مورد اقتصادي مهم قد يساهم بقسط كبير في سد حاجيات الحامية العسكرية المتواجدة في وهران، وبالتالي اعفاء الخزينة الأسبانية من تكاليف اضافية خاصة وأنها التي كانت تمر آنذاك بأزمة خانقة.

_ زوال السيادة الزيانية (1511م): لعل من خلال العنوان المطروح قد يتبادر إلى أذهان الكثير منا أنه يرمز إلى سقوط المملكة الزيانية، ولكن قصدنا من وراء هذا العنوان هو أن هذا التاريخ وحتى قبله بسنوات زالت السيادة الزيانية على الكثير من المناطق الجزائرية، ولم يبق لها من حكمها سوى مدينة تلمسان عاصمة ملكهم وضواحيها. فمدينة تلمسان عاشت فترات قوة كما عرفت مع نهاية القرن الرابع عشر وبداية القرن الخامس عشر ميلادي فترات ضعف وهوان، ساهمت بقسط كبير في تردي الأوضاع في البلاد، كما جعل الكثير من القوى تتطلع إلى احتلال سواحلها بغية تحقيق أهداف اقتصادية وعسكرية وسياسية.

فكثرة الفتن الذي ضربت بالبيت الملكي الزياني، واستنجد بعض الحكام الزيانيين بالقوات الأسبانية لتمكينهم من العرش الزياني، كما أن افتقارهم لقاعدة شعبية مكن السلطات الأسبانية من فرض منطقتها عليهم، هذا الأخير رمى إلى اخضاع تلمسان رسميا وذلك بالامضاء على معاهدة استسلام في 20 جوان من سنة 1511م ضمت الشروط نفسها التي فرضت على باقي المدن المستسلمة.

إن استسلام مدينة تلمسان عاصمة الزيانيين يجعلنا نخرج بمجموعة من الاستنتاجات لعل من أهمها:

_ تطرقنا في بداية موضوعنا هذا أن مشروع الغزو اقتضى الاستحواذ على المدن الساحلية دون التوغل في الداخل، ولكن هذا المشروع استثنى مدينة تلمسان التي هي ضمن المدن الداخلية الجزائرية ولعل السبب في هذا الاستثناء هو: أن تلمسان هي عاصمة المملكة الزيانية، وهذه الأخيرة هي الوحيدة التي كانت تمثل الكيان السياسي في الجزائر، كما كانت تملك جيشا نظاميا، وبالتالي اخضاعها يعني القضاء على أي مبادرة من هذه المملكة قصد استرجاع المدن المحتلة، أو على الأقل صد العدوان الأسباني على بقية المدن.

اعلان المملكة الزيانية خضوعها واستسلامها للأسبان يعني القضاء على أي محاولة منها للاتصال مع قوى خارجية وعلى رأسها القوة العثمانية قصد تكوين حلف قد يقف عائقا أمام السير الحسن لمشروع الغزو.

تمكنت القوات الأسبانية من التمرکز في الكثير من المواقع الاستراتيجية التي مكنتها من بسط نفوذها ليس في الجزائر بل وصل هذا النفوذ إلى تونس التي أعلن ملكها الحفصي استسلامه وخضوعه سنة 1511 م ، وتبعها طرابلس؛ وبالتالي مكن احتلال الأسبان للمدن الجزائرية وسيطرتها عليها من السير قدما فيما سمته تحقيق الزعامة الإقليمية والسيطرة الكلية على البحر الأبيض المتوسط، ولما لا تكوين امبراطورية اسبانية تجسدت فعليا على أرض الواقع في عهد كارلوس الخامس⁽⁵⁷⁾.

الهوامش:

- 1_ عبد القادر فكايير، العلاقات الجزائرية البرتغالية خلال الفترة العثمانية، دورية كان التاريخية، الكويت: دار الناشرين للنشر الإلكتروني، ع: 18 ديسمبر 2012، ص: 20_23.
 - 2_ عبد الرحمن بن محمد الجليلي، تاريخ الجزائر العام، ج: 3، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، د ط، د س ط، ص: 195.
 - 3_ المرجع السابق، ص: 25.
 - 4_ عبد القادر فكايير، المرجع السابق، ص: 25.
 - 5_ يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر العام، ج: 2، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، د ط، 2007م، ص: 25.
 - 6_ مالقة: هي مدينة عظيمة مترامية الرقعة، ذات شوارع وميادين فسيحة، يظلمها النخيل والأشجار الباسقة، ويخترقها نهر "وادي المدينة، ولكن مجراه يبقى جافا لا ماء فيه معظم أشهر السنة، تتفرع منه على الجانبين معظم شوارع المدينة. ينظر: محمد عبد الله عنان، الآثار الباقية في إسبانيا والبرتغال (دراسة تاريخية أثرية)، د ب ن: مطبعة التأليف والترجمة والنشر، ط: 2، 1311هـ/1921م، ص: 242.
 - 7_ لم يأس سكان المرسى الكبير من المقاومة بعد الحصار الذي فرضه الأسبان على المنطقة، لذلك اجتمعوا ليلا في دار المزوار للبحث حول طريقة ناجحة لطرد العدو، إلا أن رأي الأغلبية ذهب إلى ضرورة الاستسلام، حجته في ذلك أن الانتصار على الأسبان مستحيل لامتلاكهم عدد كبير من الجنود والعتاد، والوقوف في وجه مثل هذه القوة انتحار سيؤدي في نهاية المطاف إلى استباحة الأرواح والأعراض والأموال. ينظر: أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثين سنة بين الجزائر وإسبانيا (1492-1797)، الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، د ط 1985م، ص: 87.
 - 8_ الحصن: وهو ذلك البناء الذي لا يوصل إلى داخله إلا بقتال. وكان على نوعين، أحدهما عبارة عن بناء منفصل قائم بذاته كان يبني في الثغور الساحلية وطرق القوافل التجارية والمواقع الاستراتيجية الحساسة المشرفة على حدود الدولة: أما النوع الآخر فكان عبارة عن بناء متصل على هيئة برج في سور المدينة أو قلعة أو نحو ذلك. ينظر: رزق عاصم محمد، معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، القاهرة: مكتبة مدبولي، ط: 1، 2000م، ص: 81. وهي من أكثر المنشآت التي اهتم بتشبيدها الحكام على مر القربى التاريخية التي تداولت فيها الأسر الحاكمة الحكم على الأندلس.
 - 9_ وقع المرسى الكبير في أيدي الأسبان بعد إبرام اتفاقية بين الطرفين أمضت إلى انسحاب كل الجنود الذين يحملون أسلحة بعد تجريدهم منها. ينظر:
- _ Henri Delmas De Grammont, Histoire d'Alger sous la domination Turque 1515_1830, Parie : Ernest Lerousd'éditeur, 1887. P: 8.
- كما فرض على سكانها الجلاء منها في أجل أقصاه ثلاث ساعات، دون حمل ممتلكاتهم. ينظر: بسام العسلي، خير الدين بربروس والجهاد في البحر (1470_1574)، بيروت: دار النفائس، د ط، 1983، ص: 59.
 - 10_ القداص: وردت لفظة التقديس في القرآن الكريم في عشرة مواضع، متضمنة أربعة معاني المعنى الأول: أن التقديس حق لله تعالى، أما المعنى الثاني فهو وصف لسيدنا جبريل بأنه روح القدس، في حين شمل المعنى الثالث وصف الأرض التي أمر موسى قومه بدخوله بالقدسة، والمعنى الرابع كان وصف للوادي الذي كلم الله فيه موسى عليه السلام. وإذا نظرنا إلى المعاني الشرعية لمعنى التقديس نجد أنها لا تختلف عن المعاني اللغوية لهذه الكلمة، فهي دائرة حول معنى التطهير، والتنزيه، والتبريك؛ ويظهر مما سبق أن الضابط في إطلاق التقديس على شيء هو الوقوف على ما ورد عليه الدليل، كما جاء في وصف الوادي المقدس، والأرض المقدسة، ونحو ذلك، لأن الوصف بالتقديس حكم، وذلك لا يعلم إلا من جهة الشرع. ينظر: بولوس وهبة، بولوس وهبة، موسوعة الأديان، د د ن، د ط، د س ط، ص: 97.
 - 11_ A. Pestemaldjoglou, Mers el Kebir historique et description de la forteresse, R.A, N: 84, 1940. PP: 160, 163.
 - 12_ عبد القادر فكايير، المرجع السابق، ص: 53.
 - 13_ أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص: 54.
 - 14_ المرجع نفسه، ص: 54.
 - 15_ مسرعين: تقع في السهل الممتد بين شمالي بحيرة وهران الكبرى التي يفصل بينهما وبين الساحل مجموعة من الجبال قليلة الارتفاع.
 - 16_ عائشة غطاس وآخرون، الدولة الحديثة ومؤسستها، الجزائر: منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة نوفمبر، د ط، 2007م، ص: 16.
 - 17_ بسام العسلي، المرجع السابق، ص: 62، 63.

18_ فيانلي: هو تاجر من البندقية، كان يتكرر باستمرار على مدينة وهران قصد التبادل التجاري، وبفضل ممارسته لهذا العمل تمكن من تحصيل الكثير من المعلومات التي تخص المدينة، والتي ساهمت بشكل مباشر في نجاح الحملة الأسبانية على المدينة.

19_ Esprit Flechier, Histoire du cardinal Ximenes, T : 1, Parie : J. Anisson, 1963. PP : 363, 364.

20_ اليهود: من اليهود جمع هائد وهو التائب، وهاد الرجل الذي رجع وتاب، وتهود هو ذاك الذي دخل في اليهودية، وهو بالتالي هوهائد والجمع هود، واليهود اليهود من اليهودة وهو المودة أو اللين، وما يرجى به الصلاح أو التهود وهو التوبة والرجوع إلى الحق، ويذهب بعض الباحثين إلى أن الإسرائيليين إنما سموا يهودا حين تابوا عن عبادة العجل ثم لزمهم هذا الاسم لقيام موسى عليه السلام. بينما ذهب آخرون إلى أن التسمية كانت لأنه كانوا يهودون أي يتحركون عند قراءة التوراة هذا ويرجع بعض الباحثين نسبة اليهودي إلى يهوذا رابع أبناء يعقوب عليه السلام أو إلى مملكة يهوذا بمقارنتها بمملكة إسرائيل، وقد شاعت هذه التسمية أثناء السبي البابلي (539-586 ق.م). بينما ذهب فريق آخر إلى أنهم سموا "يهود" لقول موسى عليه السلام: "إنا هدنا إليك". ينظر: ابن الشحنة محب الدين أبي الوليد بن محمد، روض المناظر في علم الأوائل والأواخر، تج: مهني سيد محمد، بيروت: منشورات محمد علي بيضون، ط: 1، 1417هـ/1997م. ص ص: 23-29 يتصرف.

21_ سطورة: كان قابضا للمكوس على مستوى ميناء وهران، تمتع بمكانة مميزة بين السكان. ينظر: أحمد بن محمد سحنون الراشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تج: المهدي البعيدلي، قسنطينة: مطبعة البحث، د ط، 1973م. ص: 13.

22_ المصدر نفسه. ص: 255.

23_ ارتكز عمل محاكم التحقيق في قشتالة على اليهود الذين تنصروا بفعل الإزهاج والاضطهاد بين عامي 1391 و 1416 بعد اتهامهم بنشر الطاعون. ينظر: عادل سعيد البشتاوي، الأمة الأندلسية الشهيدة (تاريخ 100 عام من المواجهة والاضطهاد بعد سقوط غرناطة)، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط: 1، 2000م. ص: 218. وقد طرد الملك الكاثوليكيان إيزابيلا وفرناندو اليهود من قشتالة عام 1492م بغرض التخلص من القروض التي قدمها اليهود للإنفاق على حرب غرناطة، ومن أهم هؤلاء نذكر الممول الملكي إبراهيم سنيور. ينظر: المرجع نفسه. ص: 229.

24_ عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق. ص: 10.

25_ لم تكن تلك المرة الأولى التي تعرضت فيها المدينة للاحتلال، وإنما سبقتها في ذلك البرتغال لمرتين، الأولى خلال الفترة الممتدة من سنة 1415م، وإلى غاية سنة 1437م. أما الثانية فكانت سنة 1471م واستمرت إلى غاية سنة 1477م. ينظر: يحي بوعزيز، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والمغرب، ج: 1، الجزائر: دار الهدى، د ط، 2009م. ص: 34.

26_ مرمول كريخال، أفريقيا، ج: 2، تر: محمد الحجي وآخرون، الرباط: دار المعرفة، د ط، 1989. ص: 271.

27_ محمد مبارك الملي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث ج: 3 الجزائر: مكتبة النهضة الجزائرية، د ط، 1964م. ص: 23.

28_ فكاير عبد القادر، المرجع السابق. ص: 53.

29_ L. Didier, Histoire d'Oran période 1501_ 1510, Oran : Jeanne d'arc, 1927. P : 100.

30_ الأوقية: عملة اسبانية.

31_ محاكم التحقيق: أما اختيارنا لعبارة "محاكم التحقيق" بدلا عن التسمية التقليدية "محاكم التفتيش"، فالسبب يعود إلى أن الأصل التسمية هو "Inquisitio"، من كلمة "Inquiry" التي تعني: تحقيق واستفسار وبحث. إذن، "لجان التحقيق" هي أقرب للمعنى الحقيقي منها "لجان التفتيش" ذلك أن الهدف من هذه اللجان كان التحقيق مع النصارى المتهمين لاستبيان حقيقة موقفهم من الديانة النصرانية الكاثوليكية. لذلك ينبغي أن نوضح حقيقة تاريخية وهي أنه المقصود من خلال هذه العملية هم النصارى الخارجين عن العقيدة الصحيحة في منظور الكنيسة، أما المسلمون أو اليهود فلا سلطة لهذه اللجان عليهم لأنهم لا يدينون بالنصرانية. وقد اختلف استعمال تسمية هذه المحاكم من مرجع إلى آخر خاصة العربية منها التي قامت بترجمة التسمية من اللغة الإسبانية، فهناك من اختصر نعتها بمحاكم التفتيش، وهناك من أطلق عليها "ديوان التحقيق". ينظر: محمد عبد الله عنان، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الرابع، القاهرة: مكتبة الخانجي، ط: 4، 1987م. ص: 19.

32_ كنيسة: ترجمة عربية لكلمة عبرية تعني الدعوى إلى الانعقاد. وهي المؤسسة التي تجمع الأتباع؛ وترد لفظة بأكثر من معنى، فهناك كنيسة بمعنى جماعة المؤمنين في منطقة جغرافية محددة. أما الكنيسة التي تعني مكان العبادة فتأتي من وجهة استعمال المكان، أي أن مكان اجتماع الكنيسة صار يسمى "كنيسة" لدلالة الكلمة الوظيفية. ينظر: بولوس وهبة، المرجع السابق، ص: 417.

33_ طليطلة: مدينة أولية من بنيان الأول، عاصمة الغور، جليلة الوضع، منيعة وحصينة، كثيرة المياه والثمار؛ كانت قصبته بلاد الأندلس وقاعدتها العظمى. ينظر: مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، مخطوط رقم: 1528، الرباط: الخزنة الحسنية. ورقة رقم: 57.

34_ مرمول كريخال، المصدر السابق. ص: 271.

- 35_ Charles Féraud, Conquête de Bougie par les espagnols d'après un manuscrit arabe, R. A, T : 12, 1868. P : 248.
- 36_ الوزان بن محمد الحسن، وصف إفريقيا، ج: 2، تر: محمد حيي ومحمد الأخضر، بيروت: دار الغرب الإسلامي، د ط، 1983 م. ص: 50.
- 37_ مرمول كريخال، المصدر السابق. ص: 273.
- 38_ أحمد توفيق المدني، المرجع السابق. ص: 109.
- 39_ مرمول كريخال، المصدر السابق. ص: 280.
- 40_ Charles Féraud, Op. Cit. P : 254.
- 41_ تحالف أبو عبد الله مع الأسبان وذلك أثناء احتلالهم للمدينة بعدما عالجوا عيناه وأطلقوا سراحه. ينظر: أحمد توفيق المدني، المرجع السابق. ص: 107.
- 42_ كلفت هذه الشخصية بتسليم الغنائم التي كانت تسلب من الغارات البحرية وارسالها إلى التاج الإسباني. ينظر: المرجع نفسه. ص: 123.
- 43_ تنس: هي مدينة بنيت على منحدر جبل على مسافة قريبة من البحر الأبيض المتوسط، وقد كانت مستودعا تجاريا قديما، أقام الرومان مكانه - كارط تنس- ومنها جاء الاسم المتداول حتى اليوم. ينظر: الحسن بن محمد الوزان، المصدر السابق، ص: 35.
- 44_ اثر وفاة الملك الزياني محمد السابع المعروف بالثابتي سنة 1503 م وقع تطاحن وصراع بين أفراد الأسرة الحاكمة الزيانية أبي زيان ويحي، هاذين تأمرا على أخيهما الأكبر عبد الله الذي آل إليه الملك، لكن اكتشاف المؤامرة من طرف رجال مخلصين لعبد الله مكنه من الامساك بأبي زيان والنزج به في السجن بينما فر يحي إلى المرسى الكبير مستنجدا بالأسبان، هؤلاء ساندوه وساعدوه في تنصيب نفسه حاكما على تنس، كما زودوه بقوات عسكرية ضمت أربعة سفن مدعمة بخمسمائة جندي مقابل اعلان طاعته وخضوعه المطلق للأسبان، كما يتعهد بدفع ضريبة سنوية للجزيرة الإسبانية. ينظر:
- مؤلف مجهول، غزوات عروج وخير الدين، تص: تع: نور الدين عبد القادر، الجزائر: المطبعة الثعلبية، د ط، 1934 م. ص: 30، 31.
- 45_ سالم التومي: من بين أهم الزعامات المحلية التي حكمت مدينة الجزائر، هذه الأخيرة امتدت على عهده من دلس شرقا إلى شرشال غربا. تعاون مع الأسبان خوفا من بطشهم وتجنبا لانتقامهم: اتهم بالخيانة وأعدم سنة 1516 م. ينظر: عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، المرجع السابق. ص: 15.
- 46_ Haedo Diego, Topographie et histoire générale d'Alger, Tra : A. Berbugger et D' Monnereau, R.A, 1870, T : 14. P: 415.
- 47_ صخرة الجزائر: تبعد حوالي 300 متر عن مدينة الجزائر.
- 48_ سلمت الصخرة اثر الاجتماع الذي انعقد في برغوس وجمع الملك فرناندو مع الوفد الممثل لسكان مدينة الجزائر الذي ضم من كبار أعيانها يترأسهم سالم التومي، كما صاحب الوفد حاكم تنس يحي الزياني.
- 49_ بموجب الاتفاق الذي أفضى بسليم صخرة الجزائر إلى الأسبان، بعث الملك فرناندو أحسن مهندسيه العسكريين المدعو مارتينو دي رينتيرا "Martino de Rentira" للإشراف على بناء القلعة التي صممت في شكل ثمانية زوايا محاطة بسور عالي مسنن ومحصنة بحصنيين منيعين، ويمكنها أن تضم حوالي مائتين جندي. ينظر: الوزان، المصدر السابق، ج: 2. ص: 50.
- 50_ شرشال: تعتبر من أهم المدن الجزائرية، تتواجد بين الجزائر ووهران. وكانت المدينة في القرن 10 هـ/ 16 م مركزا من مراكز الحكم العثماني في الجزائر، وقد حصنها عروج سنة 1516 م وأقام بها قلعة. ينظر: مولاي بلحميسي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، الجزائر: الشركة الوطنية للتوزيع، 1981، ص: 47.
- 51_ الحسن الوزان، المصدر السابق، ج: 2. ص: 34.
- 52_ عمار عمورة، الجزائر بوابة التاريخ ما قبل التاريخ وإلى غاية الاستقلال 1962، الجزائر: دار المعرفة، د ط، د س ن. ص: 44.
- 53_ عبد القادر فكاير، المرجع السابق. ص: 34.
- 54_ مستغانم: موجودة على بعد 14 كلم من مصب نهر الشلف، بناها الأفارقة على ساحل الأبيض المتوسط، كان بها في القديم حضارة كبيرة وكانت عامرة بالسكان ولها ميناء صغير كثيرا ما تقصده السفن التجارية الأوروبية. تحيط بها البساتين الجميلة وجميع الأراضي بها خصبة وصالحة للزراعة. ينظر: الحسن الوزان، المصدر السابق. ص: 32.
- 55_ عرفت مدينة مستغانم لفترة طويلة من الزمن ازدهارا اقتصاديا كبيرا وذلك بفضل خصوبة أراضيها وطول ساحلها الذي ساعدها على ربط علاقات تجارية متنوعة.

56_ Elie de la Primaudaie, Documents inédits sur l'histoire de l'occupation Espagnole en Afrique 1506_1574, R. A, T: 19,1875. P P: 73, 75.

57_ كالوس الخامس: ولد في 24 فبراير من عام 905هـ/1500م من خوانا "Ruina" (المجنونة) في هولندا. كان له خمسة أشقاء هم على التوالي إليونورا "l'ionora" أكبرهم، تزوجت من مانويل الأول "Manuelle I" ملك البرتغال ثم لاحقا بفرانسوا الأول "François I" ملك فرنسا؛ فايزابيللا "Isabella" التي ارتبطت بكريستيان الثاني "Christiane II" ملك الدنمارك؛ بعدها يأتي فرديناند "Ferdinand" الذي تزوج من أنا "Anna" ابنة ملك المجر وبوهيميا؛ فشقيقته ماريا "Maria" التي اقترنت بلايوش الثاني "Blayoch II"؛ وأخيرا كاتارينا "Catarina" التي تزوجت من جواو الثالث "Goio III" ملك البرتغال. تتلمذ كارلوس على يد وليام دي كرويحاكم شيفر (Chièvres)، بعدها أتم تعليمه أديريان الأترشتي "Adrian Utrecht"؛ كما ساهمت عمته الأرشيدوقة مارغريت "Marguerite" هابسبورغ في تربيته وتكوينه. وقد تلقى الأمير الشاب كل تعليمه في الفلاندر فتشبع بالثقافة الفلمنكية، رغم أصوله النمساوية الإسبانية. لم يكن مولعا بالدراسة، ورغم كونه ملك إسبانيا فإن لغته كانت الفرنسية، أما الإسبانية فتعلمها بشكل سطحي؛ وكان يفضل فنون الفروسية والصيد على أي أمر آخر. هذه النشأة جعلته لا يعرف الكثير عن قشتالة أو أراغون؛ ولكن جهله بممالكه في شبه الجزيرة الإيبيرية لم يكن العامل السلبي الوحيد، فقد اعتمد أيضا على حاشية كبيرة من الفلمنك جلبها معه حين وصل إلى قشتالة سنة 922هـ/1517م. ينظر: عادل سعيد البشتاوي، الأندلسيون المواركة (دراسة في تاريخ الأندلسيين بعد سقوط غرناطة)، القاهرة: مطابع أنترناشيونال برس، د ط، 1403هـ/1983م، ص: 132.